بسم الله الرحمن الرحيم (الظنّ يناقض اليقين)

١٤٤٤/٢/٢١

كتب خالد الفغامي في زاوية الرأي من جريدة الوطن بتاريخ
عن (الإنسان والوطن و[شيخ الإسلام] ابن تيمية) [رحمه الله وجزاه عن
الإسلام والمسلمين خير ما يجزي به العلماء الأعلام الدعاة إلى
الله على بصيرة].

ولم يعدم الغريب أن يقول صحفي أو شبه مثقف كما وصف خالد
نفسه وأمثاله على الشريعة أو كبار علمائها ما ليس له علم، كما أنه
ليس من الغريب أن تدب حشرة لا تكاد ترى إلا بالمجهر ولا يعرف
لوجودها فائدة - على قبر واحد من أكبر فقراء ودعاة الأمة.

ولكنه خالد الفغامي تميز عمن سبقه في طريقة التي بأنه أثبت لنفسه
علم اليقين ولكن - فيما يظهر من قوله - من بعد المخلوقات عنه، فقال:
(يجب علينا المثقفين [لاحظ كاف التشبيه الصحفية] تعلموا علم اليقين
أيها تلخيص المشكلة أن نظر وجوهنا ونرفع أصواتنا جميعاً بالقول الإنسان
- مسلم أو غير مسلم - أهم عندنا من نقد فصيل [ابن تيمية رحمه الله]
أو حتى سقوط)، واليقين من الوحي وحده، ويلحق به فقه الأئمة الأول فيه.
وليت علماء بلاد التوحيد والسنة - لا المبتعثين - (نظروا وجوههم
ورفعوا أصواتهم) حتى (لا يخلو جو الإعلام منهم فتبيضه وتصفر وتنفخه
الغربان والبوم)، وحتى لا يستغل ظلمة الجاهلة بشرع الله، وبعلمائه
ظلمة الجاهلية فيقولوا عنهم: (لو كان خيراً ما سبقونا إليه).

١) ظلمة خالد الفغامي عميه الله العدل والعلم والسلامة من الإثم والجرأة
أنه ابن تيمية رحمه الله هو (منظر الجماعات) باستدلاله بنصف أسطر من مجموع
مؤلفاته التي قال عنها الذهبي رحمه الله أنها تبلغ أربعة آلاف كراس أو
ثلثمائة مجلد، ولعلمه يعني أنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد أولاً
باللسان ثم بالسنان فرضه كفاية، فإذا لم تقم الكفاية بالطريقة المتفاوت فعلى
علماء الأمة - لا سفهائها - أن يقوموا بالأمر، ولم يقصد مخالفة ولي الأمر كما
حدث في عصره عندما لم تقم الكفاية لدفع صولة التتر فقاد ابن تيمية
رحمه الله الناس في بلده لقتالهم، ولم ير هو ولا غيره - في ذلك خروجاً
على ولي الأمر بل إعانة له وتعاوناً على البر والتقوى كما أمر الله.
وقد نبه ابن تيمية رحمه الله - كغيره من علماء السنة - على عدم جواز الخروج على
ولي الأمر في مجموع الفتاوى والعقيدة الواسطية وغيرهما في مواضع

كثيرة تتبعه بإتباعه منهج النبوة وتمسكه به ودعوته إليه، (ولا علينا إذا لم تفهم البقر).
وأني لصحفي أن يحيط بعلم ابن تيمية رحمه الله فضلاً عن فهمه ونقده،
وجل بضاعته نقل كلمات لأحد المخدرين (ممن يوصفونه بالمفكرين الإسلاميين) ويبني عليها مطاولته لعالم من أعلام الهدى.

٢) إذا كانت همة خالد الفتامي ومداركه لا تصل به إلى الكفاية من العلوم الشرعية فإنه من السخرية أن يتتبع من مصادره الظنية (الجرائد) من لهو (منظر الجرائديين) المبتدعة:

في الحلقة الثالثة مما وصف بالوصية الأخيرة من مذكرات أيمن الظواهري القائد الثاني - أو الأول - لتنظيم القاعدة ونشرت في الشرق الأوسط العدد ٨٤٠٧ بتاريخ ١٤٢٢/٩/١٩: (أما سيد قطب فهو الذي وضع دستور [الجرائديين التكفيريين] في كتابه الديناميت معالم في الطريق، وأما فكر سيد فهو [وحده] مصدر الإحياء الأصولي [الجرائدي التكفيري]، وأما كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام يُعَدُّ أهم إنتاج عقلي وفكري للتيارات الأصولية، وأن فكر سيد كان شرارة البدء في إشعال الثورة [التي وصفت بالإسلامية] ضد [من سماهم] أعداء الإسلام في الداخل والخارج والتي ما زالت فصولها الدامية تتجدد يوماً بعد يوم). هذا هو القول الفصل في منشأ واستمرار هذه الحركة غير الراشدة ولا الرشيدة ولا المباركة من قلم رائدها الفكري والعملي هداه الله.

وسيد قطب تجاوز الدرجة الجسيمة في (معالم في الطريق) ط ١٠ ص ١٠ (دار الشروق) يحكم على كل المجتمعات المسلمة بالكفر: (لا لأنها تعتقد بالوهية أحد غير الله ولا لأنها تقدم الشعائر لغير الله، ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها).

وفي (العدالة الاجتماعية) ط عام ١٤١٥ دار الشروق ص ١٨٥ يؤكد هذا الشطط في التكفير الجماعي الذي لم يسبقه إليه بما لا يجوز التكفير به (تنظيم الحياة) يقول: (ونحن نعلم أن الحياة الإسلامية على هذا النحو قد توقفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض، وأن وجود الإسلام ذاته - منذ ثم - قد توقف كذلك).

ويؤكد هذا الحكم الجائر الخارج عن شريعة الله (في ظلال القرآن) آخر طبعات دار الشروق ص ١٠٥٧ بالحكم بالردة على البشرية كلها بمن فيها (أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات «لا إله

إلا الله" بلا مدلول ولا واقع).

وكانت نتيجة هذا الشطط في التكفير لجميع المسلمين أنه أوصى أتباعه بالصلاة في بيوتهم واعتزال مساجد الجاهلية [المساجد] ص١٨٦ (في ظلال القرآن) و (بأنه تنفصل [عضوياً] تفصيلاً وشعوراً ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومه ... وبأنه تشعر شعوراً كاملاً بأنها هي الأمة المسلمة، وأنه ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه - جاهلية وأهل جاهلية) ص١٢٢ (في ظلال القرآن).

وحكم على الذين (يظنون لحظة واحدة أن الإسلام قائم وأن الذين يدعون أنهم مسلمون ويسمون بأسماء المسلمين هم فعلاً مسلمون؛ بالسير وراء سراب كاذب تلوح فيه عمائم تحرف الكلم عن مواضعه وتزور آيات الإسلام على مساجد الضرار) [مساجد المسلمين] ص١٦ العدل الاجتماعي.

٢) وفي المقابل يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى جـ٣ ص٢٢٩: (إني دائماً ممن أعظم الناس نهياً عما أنه ينسب معينه إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى).

بل يقول في المرجع نفسه: (فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لكن الرجل [القائل] قد يكون حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع النصوص، أو سمع ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلاً وإن كان مخطئاً).

ويقول رحمه الله عن وجوب طاعة الحكام حتى الظلمة الجائرين منهم: (وأما ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويل سائغ أو غير سائغ، فلا يجوز أن يزال لما فيه من ظلم وجور، بما هو عادة أكثر النفوس تزيل الشر بما هو شر منه، وتزيل العدوان بما هو أعدى منه) كما يفعل الخوارج ونحوهم المبتدعة (فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر مما ظلموا) الفتاوى جـ٢٨ ص١٧٩.

ويقول رحمه الله: (إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلوم أن الذين لهم سلطان يقدرون به على سياسة الناس) جـ١ ص١١٥ منهاج السنة.

وهذا لون آخر من البيان لما يعني بما اقتطعه خالد من الاختيارات، كما أنه بيّن أن لا طاعة لمن نزل نفسه منزلة ولي الأمر فلا يجوز أن يسمع له ويطاع كما يسمع ويطاع لولي الأمر القائم الظاهر، كما يفعل أهل التحزب والتعصب والفتنة باسم الإسلام

وهي مخالفة لهديه. (معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة) ص٩ للشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم. ط٢ عام ١٤١٤.

ويقول ابن تيمية رحمه الله: (وكذلك مبايعة السلطان التي أمر الله بالوفاء بها ليس لأحد أن ينقضها ولو لم يحلف ... بل لو عاقد الرجل غيره على بيع أو إجارة أو نكاح لم يجز له أن يفسخه، ولو وجب الوفاء بهذا العقد فكيف بعقد ولاية الأمر على ما أمر الله به ورسوله من طاعتهم ومناصحتهم والامتناع من الخروج عليهم) مجموع الفتاوى جـ٢٥ ص ١٤٥.

ويقول رحمه الله: (فالناس نوعان: رعاة ورعية؛ فحقوق الرعاة [طاعتهم ومناصحتهم]، وحقوق الرعية لزوم جماعتهم، فإن مصالحهم لا تتم إلا باجتماعهم ولهم لا يجتمعون على ضلالة) الفتاوى جـ١ ص ١٢.

فكيف يصلح هذا (تنظيراً للجرح ديمة المبتدعة) يا فلتات الصحافة؟ إنه فقه ابن تيمية رحمه الله بعيد عنه متناول المفتونين من الجرح ديمة المبتدعة وعن مدارك الصحفية بعيد السقيمة عن الظنية وبعيد الفقه في الدين عن الفكر إسلامياً أو علمانياً.

٤) ينكر خالد الفتاني هداه الله على ابن تيمية رحمه الله - وشر البلية ما يضحك - بقوله: (فكل من يظنه نفسه عالماً سيحاول إزالة كل ما يظنه منكراً)، ولم يبين رأيه في نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الكتاب والسنة ما حكم فيها؟ وهل يرد عليها ما يرد على أقوال الفقهاء من احتمال وضعها في غير موضعها والتعسف في تأويلها؟

التعالم سبب من أسباب الفتنة إن لم يكن أهمها أسباباً، وهو داء هذا العصر الأشد خطراً على الدين والدنيا، أصيب به (الجرح ديمة المبتدعة) كما أصيب به الحزبية والحركية والصحفية والإسلاموية غير الشرعيين. وعلاجه لا يكون بالتطاول من الصغار الجرحة بشرع الله على كبار العلماء العاملين المجاهدين لتكون كلمة الله هي العليا لا الرهبة ولا القوة ولا التراب، بل بالأخذ على أيدي السفهاء وإسكات أفواه الحركية والصحفية والمبتدعة عن القول على الله وشرعه وحملة دينه بغير علم، عاجلاً غير آجل.

٥) وصدق خالد الفتاني مرة واحدة فقال: (لابن تيمية في بلدنا هذا مكانة لم يعرفها في بلده في زمانه)، بل كانت منزلته رحمه الله في أعلى الدرجات عند كبار علماء السنة وهم الأقلية كالعادة مثل ابن القيم وابن كثير والذهبي رحمهم الله، ولكنه بلادنا ودولتنا المباركة ميزها الله على دول المسلمين جميعاً منذ القرون المفضلة فقامت على منهج النبوة في الدين والدعوة

وفقه ابن تيمية وسلفه الإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله في الدين.
وكان مذهب الإمام أحمد رحمه الله أقل المذاهب في عدد متبعيه، وقل تلميذ فقه ابن تيمية رحمه الله) عانى من مخالفة المبتدعة وشططهم وسجونهم وأذاهم، ثم جاءت دولة التوحيد والسنة فاحتضنت فقه الإمام أحمد منذ نشأتها لتجديد الدين بالعودة به إلى ما كان عليه محمد وأصحابه في منتصف القرن ١٢. يقول الشيخ/ محمد أبو زهرة رحمه الله في كتابه (ابن حنبل) ص ٢٥٦-٢٥٧:
(ولما كان ذلك المذهب الجليل قد فقد الأتباع في الماضي فإن الله سبحانه وتعالى قد عوضه في الحاضر، وذلك بأن [المملكة العربية السعودية] تسير حكومتها في أقضيتها وعباداتها على مقتضى أحكامه، وكان ذلك تعويضاً كريماً وإخلافاً حسناً لأنه [السعودية] تطبق الشريعة الإسلامية في كل أقضيتها، بل إنها تطبق أحكام الحدود والقصاص تطبيقاً صحيحاً كاملاً، فالحدود فيها قائمة ومعالم الشريعة فيها معلنة، (وبذلك قامت دولة الشريعة محكمة البناء ثابتة الأركان تعلم الناس في كل البقاع والأصقاع أنها خير شريعة أخرجت للناس)، (وقد كان ذلك المذهب هو مذهب آل سعود، وإنما كان هؤلاء حنابلة اعتنقوا في العقائد والفقه مذهب محمد بن عبد الوهاب وهو يعتنقه في مذهب ابن تيمية في العقائد والفقه، ومذهب ابن تيمية في العقائد هو مذهب جمهور المسلمين وهو يمنع التوسل والتقرب بالموتى ولو كانوا من [أهل] الصلاح والتقوى في حياتهم، ومذهبه في الفقه هو مذهب الإمام أحمد مع بعض مسائل أفتى بها ولم يكن فيها مقلداً لأحد بل كان متبعاً لكتاب الله وسنة رسوله) انتهى مختصراً.
ثم يسر الله لدولة التوحيد والسنة من وسائل الطبع والنشر ما ميزها من جديد بطبع ونشر مراجع الفقه الحنبلي لأول مرة في تاريخ المسلمين وكان أولها: (المغني والشرح الكبير) في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، وعززت دولة التوحيد والسنة بجمع وطبع وإحياء فقه ابن تيمية في عهد الملك سعود رحمه الله فانتدب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمداً لجمع فتاوى ابن تيمية رحمه الله من مكتبات العالم ثم طبعها في ٣٧ مجلد خدمة للإسلام والمسلمين، ثم يأتي سفير من سفراء الصحافة فيحسب هذه الميزة والمنة والنعمة من الله على البلاد والدولة المباركة جريمة ومصيبة، وخير ما يقال في حرية الصحافة التي جرته إلى هذا التدلي ما قالته إحدى ضحايا الثورة الفرنسية الظالمة: (أيتها الحرية [الصحفية] كم باسمك تقترف الآثام).
٦) يقول خالد الفضامي عن ابن تيمية رحمه الله: (إن إقصائي أحادي لأن كان

للرأي الآخر عنده، عاطفي وانفعالي، ويحدث أنه تصدر بعض فتاواه كردود أفعال [لاحظ كاف التشبيه في غير محلها مع غيرها من الألفاظ الصحفية الدارجة غير موزونة].

وفي مقابل الرأي الصحفي الآخر - الجاهل بشرع الله والفقه بالفقه فيه يقول عنه تلميذه ابن القيم بأنه ممن هداه الله إلى صحيح الاعتقاد والسنة في منظومته النونية (الكافية الشافية).

ويقول عنه الحافظ ابن عبد الهادي في كتابه (العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية): (انبهر أهل دمشق منه فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وسرعة إدراكه ... حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والتواضع والحلم، والأناة والإنابة، وخشية الخلوة ونفع الخلوة والإحسان إليهم، والصبر على من آذاه والصفح عنه والدعاء له).

ويقول عنه الحافظ المزي: (ما رأيت مثله، ولا رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أتبع لهما منه).

ويقول عنه الحافظ ابن سيد الناس اليعمري: (كاد يستوعب السنة والآثار حفظاً، إذا تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه ورايته، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع منه نحلة في ذلك ولا أرفع منه رايته).

ويقول عنه الحافظ الذهبي: (كان يحضر المدارس والمحافل في صغره ويناظر ويفحم الكبار ويأتي بما يتحير منه أعيان السلف في العلم). ويقول: (كان يقضى منه العجب: إذا سئل كأن السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه).

ويقول عنه ابن كثير: (صار إماماً في التفسير عارفاً بالفقه، وكان عالماً باختلاف العلماء، عالماً في الأصول والفروع والنحو واللغة وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، وما قام منهم فاضل في فنه من الفنون إلا ظنه أنه ذلك الفن فنه، وأثنى عليه جملة من علماء عصره مثل الخوبي وابن دقيق العيد وابن النحاس وابن الحريري وغيرهم، وقال عنه ابن الزملكاني اجتمعت فيه شروط الاجتهاد علماً وحفظاً، وأنه لم ير مثله، وأنه لم السيد الطولي في جمعه التصنيف، وهذا الثناء عليه وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنة).

ويقول عنه الشيخ محمد حامد الفقي: (نشأ شيخ الإسلام رحمه الله في هذا الجو المظلم بمكافحة حب الصوفية الوثنية وحب الفلسفة الهندية

والفارسية واليونانية، وكتب التقليد الأعمى ... نشأ في هذه البيئة لسكوبه آية الله في خلقه وحجته على الناس).

هذا ما عرف به علماء السنة ابن تيمية رحمهم الله جميعاً، وتقدم ما ذكره الشيخ محمد أبو زهرة من علماء العصر عن ابن حنبل وابن تيمية رحمهما الله وما تميزت به دولة التوحيد والسنة من اتباع ونشر فقهها في الدنيا المواضع لمزاج النبوة.

وأخيراً نختم هذا السجل العظيم من التوثيق والتقريض والشهادة له بسطور قليلة من كتاب الشيخ أبي الحسن الندوي عن ابن تيمية (رحمهما الله) من سلسلة رجال الدعوة والفكر في الإسلام، مع ميله إلى التصوف والفكر:

(في القرن السابع الهجري ظهرت الحاجة إلى رد فعل علمي شرعي ضد طغيان الفلسفة وعدوانها على العقيدة في الله)، (ظهر علم الكلام لمقاومة الفلسفة ونصرة الدين، غير أنه تأثر بالفلسفة في المنهج والموضوع والأسلوب، فوجدت فلسفة إلهية متأثرة بالفكر اليوناني رغم أنها ظهرت لمضادته في الأصل)، (وظهرت الحاجة إلى عالم كبير له اطلاع واسع على ما واجهته المسيحية والديانات الأخرى من تغيير وتحريف لرد هجمات النصرانية وراء ستار تقدم العلم)، (وظهرت الحاجة إلى فضح المذاهب الباطنية المنحرفة والحركات الهدامة)، (وظهرت الحاجة إلى عالم مجاهد يتصدى لمحاربة العقائد الباطلة التي دبت بين المسلمين من تأثير العجم وتراجع العلماء فأصبح الدين الخالص والتوحيد النقي وراء حجاب، ونشأ الغلو في الأولياء والصالحين شأنه اليهود والنصارى حتى بدأت عقيدة التوسط والتقرب بالأولياء ترسخ كما جاء في القرآن من قول مشركي العرب: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾، وأصبح كثير من العلماء لا يرون بأساً في الاستغاثة والاستعانة بغير الله، واتخذت قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وتحقق الخطر الذي أنذر به النبي صلى الله عليه وسلم وشدد النهي عنه)، (وظهرت الحاجة إلى مؤمن قوي ومصلح جريء يتناول طوائف المتصوفين المنحرفة متأثر الفلسفة الإشراقية أو تنسك [الزهاد] وعقيدة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وتقسيم الظاهر والباطن، وفتنة الرموز والأسرار، والشعوذة والتهويل)، (وظهرت الحاجة إلى محدث فقيه وأصولي ضليع، مطلع على المذاهب الفقهية لا يتقيد بحدود السلف مع قوة استنباط وتحقيق، عارف بمكانة الأئمة المجتهدين وفضلهم وحقهم، جامع بين العلم والعمل والسيف والقلم؛ فكان ذلك الرجل هو شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية الذي لا تزال آثاره خالدة على مر العصور والأجيال).

٧) أمّا رأيه الثّالث في محبة المسلم للكافر غير المحارب فإنّما أُتِيَ فيه من جهله بشرع الله ووضع نصوص الوحي من الكتاب والسّنة في غير موضعها، وقد لُبِّس عليه كما لُبِّس على (الجاهلية المبتدعة) بالخلط بين المعاملة وبين البراء والولاء، وقد نظمت مشروعيّة المعاملة بالحسنى تقتضي المحبّة كما ظنّوا مشروعيّة البراء تنفي المعاملة بالحسنى.

وقد قال الله تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾، وقال عن الوالدين الكافرين: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾.

والله الذي شرع لنا محبة الهداية والدعاء للكافر ينفعنا أن ندعو لهم بالمغفرة والرحمة، وأذن لنبيّه صلى الله عليه وسلم أن يزور قبر أمّه ولم يأذن له أن يستغفر لها.

٨) ونمسّك بالوطنيّة ونخوف على الوطن الذي ميّزه الله بنشر فقه ابن تيميه رحمه الله من فقه ابن تيميه، دليل على ضياعه وتيهه، فهو في الحقيقة يسعى (من حيث يدري أو لا يدري) لهدم الوطن بتسفيه المنهج الذي قام عليه الوطن من أوّل يوم بفضل الله ونعمته وإحسانه على ولاة أمره وعلمائه، وبهم عليّا خاصّة وعلى المسلمين عامّة. والعمل بوصيّ الله على فهم أئمة السّلف (وابن تيمية رحمه الله من أعظم أتباعهم) الدّعامة الأولى لهذه الدّولة المباركة وأهمّ ما ميّزها الله به، شرّح الله عليها إلى يوم الدّين، وقد حفظ الله وسيحفظ بذلك رغم دسائس ووساوس شياطين الجنّ والإنس الضالين عن هدي الله وسنّة رسوله.

ومحاولة الجهلة بشرع الله حفظ البلاد المباركة بمبادئها تذكرني بمثل من أمثال الكافرين (الذين يحتجّ الكاتب بنماذجهم ويسبّ غيرة علماء الدّين): (بمثل هذه النّصيحة كيف تكون الفضيحة؟ أو بمثل هذا العلم - الفكر - كيف يكون الجهل؟ أو بمثل هذه الصّداقة كيف تكون العداوة؟)، وبالمثل العربي: (عدوّ عاقل خير من صديق جاهل).

وصلّى الله وسلّم وبارك على محمد وآله وصحبه ومتّبعي سنّته.